

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

@ 47 @ القرآن بل هي أكثر . وقد أرتبط بها اتباعه الذي هو ملاك سعادة الدارين ،
والحياة الأبدية بلا مين كيف وما الحق إلا فيما قاله أو عمل به أو قرره أو أشار إليه ، أو
تفكر فيه أو خطر بباله أو هجس في خلدته واستقام عليه . فالعلم في الحقيقة هو علم السنة
والكتاب ، والعمل ، العمل بهما في كل إياب وذهاب ؛ ومنزلته بين العلوم منزلة الشمس بين
كواكب السماء ، ومزية أهله على غيرهم من العلماء ، مزية الرجال على النساء ، () وذلك
فضل [يؤتيه من يشاء] () فياله من علم سيط بدمه الحق والهدى ، ونيط بعنقه الفوز
بالدرجات العلى . وقد كان الإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام يقول : () إن من
فقه الرجل بصيرته أو فطنته بالحديث () . ولقد صدق ، فإنه لو تأمل المتأمل بالنظر
العميق ، والفكر الدقيق ، لعلم أن لكل علم خاصية ، تتحصل بمزاولته للنفس الإنسانية
كيفية من الكيفيات الحسنة أو السيئة ، وهذا علم تعطى مزاولته صاحب هذا العلم معنى
الصحابية ، لأنها في الحقيقة هي الاطلاع على جزئيات أحواله ، ومشاهدة أوضاعه في العبادات
والعادات كلها . وعند بعد الزمان ، يتمكن هذا المعنى بمزاولته في مدركة المزاول ،
ويرتسم في خياله بحيث يصير في حكم المشاهدة والعيان . وإليه أشار القائل بقوله :
() أهل الحديث هموا أهل النبي وإن % لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا) .
ويروي عن بعض الصلحاء أنه قال : () أشد البواعث وأقوى الدواعي لي على تحصيل علم
الحديث لفظ () (قال رسول الله) () . فالحاصل أن أهل الحديث ، كثرا [تعالى سوادهم ، ورفع
عمادهم ، لهم نسبة خاصة ، ومعرفة مخصوصة بالنبي ، لا يشاركهم فيها أحد من العالمين ،
فضلا عن الناس أجمعين . لأنهم الذين لا يزال يجري ذكر صفاته العليا وأحواله الكريمة
وشمائله الشريفة على لسانهم ، ولم يبرح تمثال جماله الكريم ، وخیال وجهه الوسيم ، ونور
حديثه المستبين ، يتردد في حاق وسط جنانهم ، فعلاقة باطنهم بباطنه العلي متصلة ، ونسبة
ظاهرهم بظاهرة النقي مسلسل . فأكرم بهم من كرام يشاهدون عظمة المسمي حين يذكر الأسم ،
ويصلون عليه كل لحظة ولحظة بأحسن الحد والرسم) () .